كلمة فضيلة القاضي الدكتور يونس عبد الرزاق

رئيس المحكمة الشرعية السنية في البقاع واستاذ مساعد في جامعة بيروت العربية
imamyounes@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم؛ الحمد لله الذي أمرنا بالنظر والاعتبار، وقص علينا القصص والأخبار، وأرشدنا إلى التفكر والتدبر وحسن الاختيار، ومنع قبول القول دون دليل مختار؛ فقال في كتابه المبين وقرآنه العظيم (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين). وعلمنا العدل مع الأخصام والمختلفين فقال في كتابه الكريم (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى). والصلاة والسلام على سيد الناس أجمعين وحجة الله على خلقه إلى يوم الدين والقدوة والأسوة مدى الأزمان والسنين صلى الله عليه وعلى آله المقربين وأصحابه أولي السبق المتقين.

أما بعد:

فإنه من دواعي سروري أن أشارك في هذا اللقاء الماتع الذي يبهج الخاطر، ويسر الناظر، ويأسر الفكر وتستسلم له الإرادة منقادة إلى حيث ذاكرة التاريخ ومحفظة الأيام. وأي تاريخ أعظم من تاريخ الإسلام، وأي تاريخ أشرف من تاريخ الصحابة والتابعين في لبنان؟!

ويطيب لي أن أتقدم بالتهنئة من الشيخ الجليل والأستاذ النبيل المؤلف الشيخ سليم يوسف على عطائه العلي ونتاجه الفكري وكتابه التاريخي. والتهنئة موصولة إلى مركز البحث العلمي في أزهر البقاع ممثلاً بالدكتور نادر جمعة والدكتور رعد العبيدي والدكتور مروان الميس، وكذلك إلى إدارة الأزهر وكل ذلك عندي في صحيفة سيدي ووالدي وشيخي سماحة المفتي أمتعنا الله بطول بقائه فينا. فما نحن بين يديه إلا كما قال أبو العلاء المعري:

والبحر يمطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه

و بعد الشكر والمديح نلوي الزمام إلى ما فيه الإيضاح والتصريح مبتدئاً بالشكل، ومثنياً بالأهمية، وخاتماً بالنتيجة.

أولاً: في الشكل: لدينا في المحاكم الشرعية دعوى إثبات نسب، ودعوى النسب تحصل إما بالمصادقة وإما بإقامة الحجة والبرهان، ومن جاءت بينته على وفق مدعاه حكم له بالنسب؛ والمؤلف بينه وبين

المحاكم نسب ولديه تمرس في إثبات النسب اكتسبه أثناء عمله في المحكمة الشرعية قبل أن يغادرها بإرادته الحرة.

ولكن مهلاً فلماذا الحديث عن النسب؟

لأننا اليوم أمام وطن ممزق ومفرق، وعلى ثماني عشرة طائفة موزع؛ وكل طائفة تدعي النسب وأنها هي الأصل وأن بينها وبين لبنان نسب ورحم. فجاء شيخنا المؤلف وشمر عن ساعد الجد وكشف عن ساق العزيمة وامتشق اليراع مشحوناً بطاقة قوية وهمة عالية فغاص مبحراً في صفحات التاريخ مطوفاً في ذاكرة الزمن يجمع ويبحث ويقمش؛ إلى أن جاء هذا السفر المفيد في بابه والمميز في عنوانه والمجلى في حسنه وعرضه وبيانه، فبين بالدليل صحة النسب بين المسلمين ولبنانهم، موضحاً بالبرهان الساطع والتوثيق القاطع أسبقية العرب قبل آلاف السنين استيطان هذه الجغرافيا ومن ثم دخول الفتح الإسلامي باكراً إلى تراب هذا الوطن الغالي.

وقد استطاع المؤلف الوصول إلى هذه النتائج من خلال أعمال تطبيق قواعد الجرح والتعديل وهو العلم الذي لا نظير له عند غير المسلمين. فقد قالوا إن العلماء المسلمين قد استطاعوا التميز والانفراد بوضع علمين لا نظير لهما عند الأمم السابقة وهما:

1–علم أصول الفقه والذي بواسطته وبإعمال قواعده والنظر في مباحثه استمر التشريع الإسلامي.

2–علم الجرح والتعديل والذي بواسطته وبإعمال قواعده حفظت السنة والآثار والسير والمغازي والتاريخ ونؤكد صحة النسب بين القول وقائله.

ثانياً: في الأهمية: تأتي هذه الندوة أو هذا اللقاء في سياق بيان أسبقية المسلمين السنة في استطيان لبنان وحمايته والدفاع عنه والمرابطة على ثغوره.

والدراسة توثق لثلة كريمة ونخبة نبيلة من الصحابة والتابعين والدعاة المفوهين والفقهاء النابغين والأئمة اللامعين، الذين اجتهدوا على حماية الوطن وأمنه حيث عمل المؤلف على استقراء التاريخ وتوثيق النصوص وتحليلها مترجماً لعدد من الصحابة الذين وصلوا إلى لبنان مع جيوش الفتح الإسلامي رغبة في نشر الدين الحنيف وتحرير الأرض العربية من مغتصبيها ومن بعد ذلك أقاموا في سواحله مرابطين ومعلمين منهم على سبيل المثال: بسر بن أرطأة وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد الأنصاري ومعاوية بن أبي سفيان وأم حرام بنت ملحان وأنس بن مالك وأبو ذر وأبو هريرة وسلمان الفارسي وعبد الله بن مسعود، ومن هؤلاء من بقي مرابطا بعد الغزو.

والذي أراه دالاً أيضاً على أهمية التوقيت فمن يمن الطالع أن تأتي هذه الندوة في هذا الوقت بالذات حيث كثر الأدعياء وارتفع صوت الأغبياء وساد فكر الأقلية، ونطق الرويبضة وأسفر لئام عن عنصريتهم القميئة حيث ألفينا كل أفاك وزنيم يحطم الثغور ويشرعها أمام الغزاة، وينتسب إلى تاريخ مزيف ليس له فيه ذكر وليس لديه في إثبات مدعاه دليل.

وهنا لعل البعض يتساءل ببراءة أو يغمز عن قصد ما الحاجة إلى الإسهاب والإطناب والتوثيق والإسناد إذا كنتم مطمئنين غير شاكين ولا مرتابين بصحة النسب والنسبة؟

فالجواب يسير وميسور من هدي النبي المعصوم، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً تتبرق أسارير وجهه فقال: ألم تري أن مجززاً نظر آنفاً إلى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد فقال هذه الأقدام بعضها من بعض. فمجزز هذا كان قائفاً يميز الدماء ويلحق الناس بعضهم ببعض؛ ومحل الشاهد سرور النبي صلى الله عليه وسلم، وسبب سروره بأمي وأمي صلى الله عليه وسلم أن الجاهلية كانت تقدح في نسب أسامة لكونه أسود شديد السواد، لكون أمه كانت سوداء وزيد رضي الله عنه كان أبيض من القطن فلما قال مجزز المدلجي ما

قال مع اختلاف اللون سر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لكونه ردا على الطاعنين فيه.

ثالثاً: في النتيجة: وجود مصدر معتمد ينفع في المحاجة والمناقشة وإبراز تاريخ المسلمين في هذا البلد وبيان دور العلماء في بناء هذه المساحة الجغرافية حاكى فيه المؤلف علماء السلف الذين خدموا هذه الأمة عن طريق التصنيف في التاريخ كالإمام الطبري وابن كثير والذهبي وغيرهم.

واستطاع إثبات أسبقية دخول المسلمين لبنان منذ فجر الزمان وتناول المواضيع المثيرة للنقاش بحصافة ورصانة وبحكمة واعتدال مستهدفاً تعزيز الهوية والانتماء. فالإنسان في تعطش دائم لمعرفة أصل وجوده؛ والتاريخ هو المكان الذي يستطيع الفرد معرفة وجوده منه كما يقول الفيلسوف الأمريكي جورج سانت يانا.

وقبل أن أغادر الكلام أرى أن دراسة تاريخ المسلمين في لبنان ودورهم في تحريره وبنائه وحمايته والإسهام في وضع نظمه وتطويره مما يجب على مسلم صغيراً أو كبيراً وأنه حكم واجب وفرض لازب لما يؤول إليه من تثبيت هوية المسلمين وصحة انتمائهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكر وتقدير: الدكتورة هيفاء الإمام تم اختيارها ليس لأنها امرأة ونريد أن نثبت رحابة الإسلام في إفساح المجال أمام المرأة؛ بل لأنها عصامية من بيت مقاوم أكملت دراستها ورعت بيتها، ثم انطلقت لتأسيس مجلة محكمة لنشر الأبحاث العلمية؛ وهذه القراءة الدقيقة تبين سبب اختيارها.